



بسم الله الرحمن الرحيم

العقيدة

كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة

(١)

توحيد الربوبية معناه وأدلته من الكتاب والسنة والعقل والفطرة-بيان أن الإقرار بهذا التوحيد وحده لا ينجي من العذاب- مظاهر الانحراف في توحيد الربوبية.



بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين، نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-. وبعد، أهلاً بكم ومرحباً وطبتم وطاب ممشاكم وتبوأتم من الجنة منزلاً، نسأل الله **وَعَلَيْكَ** الذي كتب لطلاب العلم أن يستغفر لهم من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، أن يكتب لكم الأجر ونسأل الله **وَعَلَيْكَ** أن يرزقنا وإياكم الإخلاص في القول والعمل إنه ولي ذلك والقادر عليه.

فإن هذا أول دروس العقيدة، ولا شك أننا يجب أن نبدأ بمقدمة، وهذه المقدمة مهمة جداً فيجب علينا أن ننقبه إليها، وهي تعريف ببعض المصطلحات وتأسيس لهذا العلم، فكثيراً ما تتردد كلمة العقيدة على ألسنة الناس في محاوراتهم ومحادثاتهم كثيراً فتراهم يقولون مثلاً أنا أعتقد كذا ويقول آخر فلان عقيدته كذا، فلان عقيدته حسنة، ويقول البعض العقيدة الإسلامية السبب الأقوى في انتصار المسلمين في كل زمان ومكان، ويقول البعض الحرب الذي بيننا وبين اليهود حرب عقائدية في حقيقتها.



فما معنى كلمة عقيدة في اللغة؟ وما مفهومها في الشرع؟

العقائد:

(العقيدة) في الاصطلاح: (هي الأمور التي تصدق بها النفوس وتطمئن إليها القلوب وتكون يقيناً عند أصحابها لا يمازجها ريب ولا يخالطها شك).

(العقيدة) في اللغة: وهي من العقد؛ من عقد الحبل أي شد بعضه ببعض نقيض حله أي نقيض حل الحبل، ومادة عقد، تسمع كلمة مادة يعني بنية الكلمة، العين والقاف والتاء، تبحث عنها في القاموس مادة عقد في اللغة مدارها على اللزوم والتأكد والاستيفاق.

مادة عقد، كل تراكيب والصيغ الصادرة من مادة عقد، من عقد، وتعاقد، وعقود، وغير ذلك، هذه تدور حول اللزوم والتأكد والاستيفاق، ففي القرآن يقول الله ﷻ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ [المائدة: ٨٩]، **وتعقيد الأيمان:** إنما يكون بقصد القلب وعزمه، بخلاف **لغو اليمين**، ما تجري على اللسان بدون قصد.

والعقود: معناها أوثق العهود، ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، وتقول العرب اعتقد الشيء أي صلب واشتد من عقد العسل أي غلظ وصلب.

والعقيدة في الإسلام: تقابل الشريعة، لأن الإسلام عندنا: عقيدة وشريعة.

والشريعة: تعني التكليف العملية التي جاء بها الإسلام في العبادات والمعاملات، إذن عندنا إسلام: عقيدة وشريعة، شريعة هذه تكليف عملية التي هي عبادات ومعاملات.



العقيدة: ليست أمور عملية، بل أمور علمية.

ماذا تعني أمور علمية؟

يعني يجب على المسلم أن يعتقد بها في قلبه لأن الله أخبره بها، بطريق كتابه أو بطريق وحيه إلى رسوله ﷺ.

ولذلك تجد بعض الزهاد يقولون: (مساكين أهل الدنيا خرجوا من الدنيا ولم يذوقوا أطيّب ما فيها، قال: وما أطيّب ما فيها؟ قال: معرفة الله عز وجل).

هذا القلب يكون ساكن مستقر، ناس كثيرة قلوبها محتارة، غير ساكنة، غير مستقرة، مضطربة، لأنه لم تعرف الله تبارك وتعالى.

إذن أهم شيء في الدنيا: أن تعرف الله ﷻ، وإذا عرفته أحببته، لأن الجهل ما ناتج عن عدم معرفة الشيء ومن ثم يحدث تكذيب، فالله ﷻ يقول: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾.

أصول العقائد التي أمرنا الله تعالى باعتقادها:

هي المذكورة في آخر سورة البقرة: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلٰٓئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرٰنَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، مذكور أيضًا في سورة البقرة: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].



أصول العقائد في السنة: حددها النبي ﷺ في حديث جبريل المشهور حينما سأله عن الإيمان قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره».

العقيدة في الإسلام.

أولاً:- هي المسائل العلمية التي صح بها الخبر عن الله ورسوله ﷺ، والتي يجب أن ينعقد عليها قلب المسلم تصديقاً لله ورسوله .

ثانياً: العقيدة يقين لا تقبل الشك، فإن كان فيها ريب أو شك كان ظناً لا عقيدة.

يقول صاحب المعجم الوسيط: (العقيدة الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده)، أي عند صاحبه والدليل على ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]، الإيمان بالله والرسول، والآية الأخرى قال: ﴿الْم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة: ١، ٢]، الإيمان بالكتب لا يصح أن يكون فيه ريب أو شك، وأيضاً قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٩]، الإيمان باليوم الآخر لا يصح أن يكون فيه شك. ثاني شيء نعرفها في العقيدة أنها يقين لا تقبل الشك، والدليل على ذلك: إن الله ذم المشركين على أنهم ارتابوا فقال تعالى: ﴿وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٥].

ثالثاً: أن مسائلها أمور غيبية، ليست مشاهدة أو منظورة وهي التي عناها الله تعالى بقوله في مدح المؤمنين: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]، فالله غيب وكذلك الملائكة غيب، واليوم الآخر غيب، والكتب والرسول يظن البعض أنها تشاهد وتنظر، وأمامنا القرآن، والرسول من عايشه وسكن أمامه، أقول أنها غيب



ولكن ليس كما تعتقد لأن المراد بأنها غيب بنسبتها إلى الله أي كون هؤلاء بعثوا من عند الله، وأن الكتب كونها أنزلت من عند الله غيب أو لا؟ غيب.

رابعاً: أن العقيدة التي جاءت بها الرسل عقيدة واحدة.

ما جاء به آدم ونوح إلى محمد ﷺ يدعون إلى عقيدة واحدة نحن نسميها الإسلام، ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، فما أرسل الله من رسول إلا قال لقومه ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

إذن هذه العقيدة واحدة، ولذلك قال النبي ﷺ: «الأنبياء أخوة لعلات دينهم واحد وأمهاتهم شتى» دينهم واحد التي هي العقيدة التي هي لا إله إلا الله، أمهاتهم شتى: التي هي الشرائع: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾ [المائدة: ٤٨] فما شرع في قوم نسخ في قوم آخر، فالشرائع تختلف من زمان إلى زمان ومن مكان إلى آخر إذن الدين واحد، العقيدة التي جاءت بها الرسل واحدة.

ثانياً: ما علاقة العقيدة بالإيمان، هل الإيمان هو العقيدة؟

الإيمان أوسع وأشمل، فالإيمان له شطران:

الأول: عقيدة نقية راسخة تستكن في القلب..

الثاني: وعمل يظهر على الجوارح..

إذن الإيمان قول وعمل، العقيدة مختصة بالقلب، فالعقيدة نقية راسخة تستكن في القلب وهذا أول شرط الإيمان، والثاني عمل يظهر على الجوارح فإذا فقد أحد الركبتين فإن الإيمان يزول أو يختل، إذ الاتصال بين الطرفين وثيق جداً.

لأن فيه بعض الإيمان قد يزول بالكلية فيكفر أو يختل أي يبقى عليه إيمانه ولكن كان مقيداً يعني مؤمن فاسق أو مؤمن عاصي، لأنه فقد أحد هذه المسميات في الإيمان.



فمثل الإيمان: كشجرة طيبة جذورها في الأرض الطيبة وباسقة بسوقها في السماء مزهرة مثمرة معطاءة تعطي أكلها كل حين بإذن ربها، فالإيمان شجرة جذورها العقيدة التي تغلغت في قلب صاحبها والسوق والفروع والثمار هي العمل ، ولاشك إن الجذور إذا خلعت أو إذا تعفنت، فسدت الشجرة ويست ولم يبق له وجود وكذلك الإيمان لا يبقى له وجود إذا زالت العقيدة.

أما إذا قطع الساق والفروع أو قطع بعضا منها فإن الشجرة تضعف وتهزل ، وقد تموت كليا لأن وجود الفروع والأوراق ضرورة كي تحافظ الشجرة على بقائها كذلك الأعمال إذا تركت أو ترك جزء منها فإن الإيمان ينقص أو يزول.

هل تدخل الأعمال في مسمى الإيمان؟

لكي تعرف إن الأعمال تدخل في مسمى الإيمان، في ترك بعض الأعمال يمكن أن يزول الإيمان، وفي ترك بعضها لا يزول الإيمان وكما قال الرسول ﷺ: «الإيمان بضع وستون أو بعض وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء».

تعريف الإمام الخطابي للإيمان: الإيمان حقيقة مركبة ذي شعب، منها ما يكون أصل في الإيمان وهو قول لا إله إلا الله ومنها ما هو مكملات للإيمان، هو إمطة الأذى عن الطريق وشعب بين ذلك كثير فمنها ما يقترب من الشهادة ومنها ما يقترب من إمطة الأذى عن الطريق.

تعريف الإمام الخطابي للكفر: حقيقة تشريعية مركبة ذي شعب فإذا زال قول لا إله إلا الله كفر، فكذلك أيضا منها ما يؤول ويطرأ إلى لا إله إلا الله ومنها ما يؤول ولا يزول بتركها كمطة الأذى عن الطريق.

الأمر الثالث: مصطلح أهل السنة والجماعة.



مصطلح أهل السنة والجماعة نحن علينا كتاب اسمه: «أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة» هذا المصطلح الذي يدل على اتجاه معين في الاعتقاد، .

يقول ابن رجب الحنبلي -رحمه الله- عن سفيان الثوري قال: (استوصوا بأهل السنة خيرا فإنهم غرباء،) ومراد الأئمة بالسنة طريقة النبي ﷺ التي كان عليها هو وأصحابه السالمة من الشبهات والشهوات ولهذا كان الفضيل بن عياض -رحمه الله- يقول: (أهل السنة من عرف ما يدخل في بطنه من حلال)، لماذا؟ لأن اجتناب أكل الحرام من أعظم خصال السنة التي كان عليها النبي ﷺ وأصحابه.

تعريف علماء الحديث المتأخرين للسنة: (أن السنة عبارة عما سلم من الشبهات في الاعتقادات خاصة في مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وفي مسائل القدر وفضائل الصحابة) وصنفوا في هذا العلم تصانيف سموها كتب السنة، مثل ١- كتاب السنة للإمام أحمد بن حنبل، ٢- كتاب السنة لابن أبي عاصم، ٣- كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل، ٤- وكتاب السنة للخلال وغير ذلك.

ماذا يقصد بأهل السنة ؟ .

أهل السنة لها معنيان:

الأول: (متابعة السنن والآثار الواردة عن الرسول ﷺ وصحابته والعناية بها وتمييز صحيحها وسقيها والتزام موجبها من الأقوال والأعمال في مجال العقيدة والأحكام).

الثاني: وهو أخص من المعنى الأول، وهو الذي عناه بعض المصنفين حيث سموا كتبهم باسم السنة مثل ابن أبي عاصم والإمام أحمد بن حنبل وابنه والخلال وغيره،



يعنون بالسنة التي كتبوها في هذه الكتب: (الاعتقاد الصحيح الثابت بالنص والإجماع).

متى نشأت التسمية بأهل السنة؟

نشأت التسمية بأهل السنة بعد الفتنة عند بداية ظهور الفرق.

قال ابن سيرين -رحمه الله-: (لم يكونوا يسألون عن الإسلام فلما وقعت الفتنة قالوا سمو لنا رجالكم). فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم.

وسئل الإمام مالك -رحمه الله- من أهل السنة؟ قال: (أهل السنة الذين ليس لقب يعرفون به لا جهمي ولا قدري ولا رافضي).

كل واحد اعتقد معتقد مخالف يسموا به فالقدرية سموا قدرية لأنهم قالوا إن الأمر أنف، أي أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها فسموا قدرية، والجبرية والخوارج والمرجئة، أما أهل السنة ليس لهم لقب، ثم لما صارت للجهمية شوكة صارت لهم دولة امتحنوا الناس ودعوهم إلى التجهم أي إلى فكر وعقيدة الجهمية وآذوا الناس وعذبوهم بل وقتلوا البعض من لم يقل بقولهم، فسخر الله لأهل السنة الإمام أحمد -رحمه الله- حيث صبر على امتحانهم وابتلائهم وناظرهم وفند حججهم وأعلن السنة، فصار يلقب بإمام أهل السنة والجماعة.

على من يطلق مصطلح أهل السنة والجماعة؟

يطلق مصطلح أهل السنة والجماعة على إتباع مذهب السلف الصالح في الاعتقاد وقد وردت أحاديث كثيرة بلزوم الجماعة وتهمي عن الفرقة والخروج.

اختلف العلماء في المقصود بالجماعة.



على عدة أقوال وأكثرها في خمسة أقوال:

الأول: السواد الأعظم من أهل الإسلام..

الثاني: الأئمة المجتهدون.

الثالث: الصحابة رضي الله عنهم.

الرابع: جماعة المسلمين إذا أجمعوا على أمر، يسموا الجماعة.

الخامس: جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير.

وحصر هذه الأقوال ترجع إلى معنيين:

الأول: إن الجماعة الذين اجتمعوا على أمير على مقتضى الشرع، فيجب لزوم هذه الجماعة وعدم الخروج عليهم وعلى أميرهم.

الثاني: الجماعة ما عليه أهل السنة من الإتياع وترك الابتداع وهو المذهب الحق، الواجب إتياعه والسير على منهاجه.

الأصول: هو ما يبنى عليه غيره وهو الأساس.

الإيمان في اللغة له استعمالان:

الأول: يتعدى بنفسه فيكون معناه التأمين أي إعطاء الأمان، أمنتَه ضد أخفته منها

قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّنَّهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤]، وقول النبي ﷺ: «النجوم أمانة السماء» أي تحفظ السماء.

وأمنة جمع أمين، وهو الحافظ، وقول الله ﻋَﻠَﻴْكَ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ

وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥]، وقال الله ﻋَﻠَﻴْكَ: ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين: ٣].



إذن المعنى من مادة أمن أي ضد أخاف ويكون معناه التأمين وإعطاء الأمان، هذا المعنى الأول.

المعنى الثاني: يتعدى بالباء أو بالكلام، يتعدى بالباء يقول آمن بـ، فيكون معناه التصديق أو بالكلام، فيكون معناه التصديق كقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧]، أي بمصدق لنا، آمنت بكذا أي صدقت به، وقال الله تعالى: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ٦١]، بمعنى يصدق الله ويصدق المؤمن، هذا المعنى اللغوي يدور حول إعطاء الأمان والتصديق.

المعنى الشرعي للإيمان: هو اعتقاد وقول وعمل، قال الأصفهاني -رحمه الله- (والإيمان في لسان الشرع هو التصديق بالقلب والعمل بالأركان).

وروى الإمام اللالكائي عن الإمام البخاري قوله: (لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء من الأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص).

هل يوجد علاقة ما بين المعنى اللغوي للإيمان والمعنى الشرعي؟

الجواب: نعم، إن معاني الإيمان لغة التصديق وأن التصديق يكون بالقلب واللسان والجوارح.

وهكذا الإيمان الشرعي عبارة عن تصديق مخصوص وهو ما يسمى عند السلف بقول القلب، وهذا التصديق الذي هو قول القلب لا ينفع وحده بل لابد معه من الاتقياد والاستسلام وهو ما يسمى بعمل القلب، ويلزم من ذلك قول اللسان وعمل الجوارح، وهذه الأجزاء مترابطة، فمن جاء بها فقد آمن بالله **عَلَيْكَ** وأمن من عذابه.

التوحيد لغة: (مصدر وحد الشيء إذا جعله واحداً)، وحد يقول مينا وحد القطرين، كيف؟ أي جعل القطرين قطرا واحداً، فلان وحد البلاد أي جعل



الأجزاء المتناثرة جزءًا واحدًا، فالتوحيد لغة مصدر وحد الشيء إذا جعله واحدًا وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات وهما ركنا كلمة التوحيد، لا إله إلا الله، (لا إله): نفي، (إلا الله): إثبات، فتنفي العبودية عن غير الله وتثبتها لله، لذلك لما تقول ما معنى لا إله إلا الله تقول لا معبود بحق إلا الله، فتنفي وتثبت، لا ينفع تقول لا نعبد غير الله ﷻ، لم تثبتها لله سبحانه وتعالى-، فأقول لا معبود وسكت فأصبح، ما دام نفيت العبودية فيجب أن تثبتها، تثبتها لمن؟ تثبتها لله ﷻ وهذه حقيقة لا إله إلا الله يبقى هذا معنى اللغوي للتوحيد، مصدر وحد الشيء أي جعله واحدًا.

المعنى الشرعي للتوحيد: إفراد الله تعالى بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

الخلاصة:

المعنى اللغوي للتوحيد: هو وحد الشيء أي جعله واحدًا.

المعنى الشرعي للتوحيد: إفراد الله تعالى بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

كيف علمت أقسام التوحيد؟

هذه الأقسام كيف علموها؟ هل موجودة في الكتاب، أو في السنة؟ لا، علموها بالتبع والاستقراء التام.

يقول في الكتاب: (وهذه الأقسام الثلاثة للتوحيد قد أخذها أهل العلم بالاستقراء والتبع لنصوص الكتاب والسنة، وهو استقراء تام لنصوص الشرع، أفاد هذه الحقيقة الشرعية، وهي أن التوحيد المطلوب من العباد هو الإيمان بوحداية الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، فمن لم يأت بهذا جميعه فليس بمؤمن).



نحن قلنا معنى التوحيد في الآخر هذا، واستدلوا على إنه ثلاث أقسام وفيه معنى الذي في الكتاب يقول هذا التقسيم شرعي، وفيه خلاف بين أهل العلم هذا التقسيم الشرعي، هل هذا التقسيم شرعي أو اصطلاحي، تقسيم تعبدي، يعني الذي يخالف يكون مبتدع أو هو تقسيم اصطلاحي.

ما معنى اصطلاحي ومعنى شرعي؟

شرعي: يكون فيه نص فيه دليل شرعي، .

ما هي الأدلة الشرعية؟

الأدلة الشرعية عندنا: أدلة متفق عليها، وأدلة مختلف عليها.

المتفق عليها: الكتاب والسنة والإجماع والقياس.

المختلف عليها: كثير منها الاستقراء، والمصلحة المرسلة، وقول الصحابي، وشرع من قبلنا، والاستصحاب، والاستحسان وكثير جداً من الأدلة الشرعية منها الاستقراء، هذا معنى التقسيم الشرعي.

فالذي قال تقسيم شرعي قال تقسيم شرعي قال إن عليه دليل شرعي الذي هو الاستقراء.

والاستقراء نوعان: استقراء تام واستقراء ناقص.

استقراء تام: يعني أقطع كل الذي أخذ منه هذا الأمر، فهو استقراء تام يعني معناه استقراء الكتاب كله يعني القرآن كله، استقرأ القرآن كله والسنة كلها بعد ما قرأت كل هذا استنبط إن التوحيد عبارة عن ثلاثة أشياء، فهذا دليلهم إن فيه دليل شرعي، يبقى الذي يقول إن التقسيم ليس ثلاث أشياء يبقى مبتدع على كلامه.

التقسيم الثاني اصطلاحي:، اصطلاحي أي اصطلح عليه أهل هذا الفن، اصطلح أي اتفق، أهل هذا الفن يعني المتخصصين فيه، فالتخصصين في هذا الفن



الذين هم أهل العقيدة أهل التوحيد لما أقول ثقة عرفه اصطلاح يبقى عندي من؟
الفقهاء، أصول فقه عرفه من الأصوليين، التفسير عرفه عند من؟ عند المفسرين،
يبقى هذا معنى اصطلاح.

ومعنى الاصطلاح: أي اتفقوا على هذا التقسيم للترتيب والتنظيم وسهولة وصول
المعلومة وهذا ليس عليه حكم، يعني لا ينفع أقولك خذ واحد اثنين ثلاثة، لا ينفع
أقول للذي لا يقول غير هؤلاء الثلاثة يبقى آثم أو مبتدع، يبقى أنت حولته من
اصطلاح إلى شرعي.

إنما لما أقول اصطلاح أي ليس عليه حكم، أي لا يبنى علي حكم فلا مشاحة في
الاصطلاح، تجعلهم ثلاثة تجعلهم اثنين تجعلهم أربعة تجعلهم خمسة أنت حر ما دام
كله يدور حول هذا المعنى.

هل تقسيم التوحيد في الاصطلاح شرعي؟

قلنا اختلف الأئمة فيهم فمن قائل أنه شرعي هو بناء على دليل شرعي الذي هو
الاستقراء، معنى ذلك الذي يخالف يبقى مبتدع، وهذا قول الشيخ عبد الرزاق
البدر حفظه الله.

والراجح: أنه اصطلاح وأشهر التقسيمات ثلاثة: توحيد ربوبية، توحيد ألوهية،
توحيد أسماء وصفات.

هل اختلف السلف في تقسيم التوحيد؟

نعم اختلف السلف في تقسيمه حتى لا نقول إن التقسيم هذا ثلاثة فقط، فمنهم
من يقسمه قسمين، ومنهم من يقسمه ثلاث أو أربع ونادرا ما يقسمه البعض
خمس، والبعض يبدع من لم يقل ثلاثة وزعموا أن هذا التقسيم تعبدى ومن هؤلاء
فرقة اسمها الجامية موجودة في السعودية.

استقراء السلف في أنواع التوحيد ومسمياته.



اختلف استقراء السلف في أنواع التوحيد ومسمياته، التوحيد .

فمثلا الإمام الطحاوي يقول: ثم إن التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتاب نوعان، توحيد في الإثبات والمعرفة، وتوحيد في الطلب والقول.

رد عليه البعض: إن السلف قالوا ثلاثة فقط، لا ليس فقط ذلك، شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- يقول: أن التوحيد يتضمن أمرين: الأول: التوحيد القولي العملي.

الطحاوي قال: توحيد الإثبات والمعرفة، وابن تيمية قال: التوحيد القولي العملي، المسمى اختلف، الأول: ؟؟؟ شيخ الإسلام، والثاني قال: التوحيد العملي الإرادي، شيخ الإسلام قسم التوحيد إلى نوعين: قولي علمي، وعملي إرادي.

يقول الإمام ابن القيم: ذكر نوعين وثلاثة للتوحيد، قال: فأما النوعين من التوحيد قال: التوحيد نوعان: نوع في العلم والاعتقاد، ونوع في الإرادة والقصد، وسمى الأول: التوحيد العلمي، والثاني: التوحيد القصدي الإرادي، لتعلق الأول بالأخبار والمعرفة لهذا سماه علمي، والثاني في القصد والإرادة لهذا سماه قصدي إرادي.

ماذا قال في الثلاثة: قال في بيان أنواع التوحيد قال:

الأول: توحيد الربوبية، **والثاني:** توحيد الألوهية، **والثالث:** التوحيد العلمي الاعتقادي.

الشيخ ابن باز -رحمه الله- قال معبرا عن خلاف السلف في التقسيم قال: إنهم اختلفوا في التقسيم ولم يبدع أحد، ثم قال وأقسام التوحيد ثلاثة. إذن أشهر أقسام التوحيد ثلاثة.

والشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب هو حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- أول كتاب التفسير قال: يجوز هذا ويجوز هذا أي



التقسيم الثنائي يجوز والتقسيم والثلاثي يجوز والمعنى صحيح ولا مشاحة في الاصطلاح.

إذن الآن نحن انتهينا من التقسيم، تفهم هذه المسائل، الأشهر إن التقسيم اصطلاحى لا مشاحة في ذلك ولا يبنى عليه حكم إنما للتقسيم وسهولة ووصول المعلومة للطلاب.

توحيد الربوبية:

(المبحث الأول: معناه وأدلته من الكتاب والسنة والعقل والفطرة.

أولاً: تعريفه:

أ- لغة: الربوبية مصدر من الفعل رب، ومنه الرب) إذن اسم الرب الصفة من الرب الربوبية، مثل ما أقول الله أو الإله، الصفة من الله أو الإله الألوهية.

(فالربوبية صفة الله، وهي مأخوذة من اسم الرب، والرب في كلام العرب يطلق على معان: منها المالك، والسيد، المطاع، والمُصلِح) والرب في كلام العرب يطلق على أربع معان: المالك، والسيد، والمصلح، والمطاع، يعني عبد المطلب لما جاء أبرهة وأخذ إبله قال أنا رب الإبل أي مالك الإبل، وللبيت رب يحميه، ويوسف قال للذي في السجن حينما جاءه مخبراً قال: اذهب إلى ربك أي سيدك، وكذلك أيضاً المطاع والمصلح يسمى المربي أي المصلح.

(ب- أما في الاصطلاح: فإن توحيد الربوبية هو إفراد الله بأفعاله) وهذا أقصر تعريف للربوبية، أقصر كمان تعري القصير في المختصر: توحيد يعني إفراد الله، ربوبية، يعني أفعال الله، يعني أقول لك خلق، لما أفرد الله بالخلق، خلق فعل من؟ الله أو فعل العبد؟، إذن هذا توحيد ربوبية، أحيا ربوبية، منع ربوبية، رزق، إذن إفراد الله في التدبير والإحياء والإماتة والإعطاء والمنع هذا كله ربوبية، إنما لما أقول سجد فعل العبد، إذن ليس ربوبية، فعل العبد توحيد الألوهية وهي إفراد الله



بأفعال العباد، فيه فرق بين الربوبية والألوهية، لما أرى كلمة سر، انظر هل فعل الله إذن تحت توحيد الربوبية، فعل العبد إفراده تحت توحيد الألوهية.

إذن توحيد الربوبية إفراد الله بأفعاله، فنفرده -سبحانه وتعالى-: (الخلق والرزق والسيادة والإنعام والملك والتصوير، والعطاء والمنع، والنفع والضرر، والإحياء والإماتة، والتدبير المحكم، والقضاء والقدر، وغير ذلك من أفعاله التي لا شريك له فيها) أفعال الله لا منتهى لها، فالواجب العام أن يؤمن بذلك كله ويفرد الله -تبارك وتعالى- بأفعاله كلها.

(أما الأدلة من الكتاب: قال الله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [لقمان: ١٠، ١١].

قال تعالى: في الإفراد أو الخلق: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥، ٣٦].

أيضاً من السنة: ما رواه الإمام أحمد وأبو داود من حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه مرفوعاً وفيه: «السيد الله تبارك وتعالى..» وعند الترمذي قول «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف».

أما دلالة العقل على توحيد الربوبية) يعني العقل لا يستقل بمعرفة الله لكن يستشهد به، العقل لا يستقل، ولذلك قال أهل العلم العقل (دابة توصلك إلى باب السلطان ولا تدخلك عليه)، العقل يوصلك وسيلة إلى التعقل والتدبير والفهم ولا تدخلك على الله أو على السلطان، ما الذي يدخلك؟ منشورك، كتابه، فالله



عرفك بنفسه هو الذي يأذن لك في الدخول، لكن العقل يدخل، تعرف الله وَعَلَيْكَ، لذلك مخطئ من قال: ربنا عرفوه بالعقل، لا يجوز.

ما شاء الله نحن عندنا من الأمم الأخرى عقولهم فارهة أصحاب التكنولوجيا العصرية، وأصحاب التنمية البشرية وغيرها من اليابان والصين وغيره يعبدوا الفئران، أين عقولهم؟ ألم توصلهم إلى الله فيعبدونه، فالعقل دابة يوصلك إلى باب السلطان ولا تدخلك عليه. وقس سيدنا إبراهيم عليه السلام وموسى وغيره، العقل شاهد وأراد أن يدير عقولهم لأن هناك حاجز عنهم اتبعوا آبائهم وأجدادهم في ذلك فأراد أن يحجز هذه العصبية العامة التي حجزت فكر العقل فأخذ يعمل عقولهم في التعرف على الله -تبارك وتعالى- وإلا لو تركهم وهذا رسول، الرسول هو الذي دلهم، فالله بعث الرسول ليدلهم على الله؛ لأنهم قبل الرسول كانوا ماذا، لما جاء الرسول يعلمهم الآيات، انظر إلى هذا النجم، وهذا الكوكب، وهذا الشمس، فلما نظروا وأفلوا وبين لهم أن الله لا يأفل ولا يغيب، فإن ظهر فوجدتم الله وإن غاب فمن الذي يدبر أموركم، لا ينفع يكون إله، لا النجم إله ولا الكوكب إله ولا الشمس إله، فبين لكم وقال: إن لم يهتدي قومي إلى الرب لأكون من القوم الضالين، هذا الاستدلال بالعقل كما شهد بذلك، الاستدلال بالعقل شهد، ولا يستقل به مثل الفطرة بالضبط، العربي القديم استدل بالفطرة.

(ج) أما دلالة العقل على توحيد الربوبية

ربنا وَعَلَيْكَ أمرنا أن نستدل بالعقل وأن نعمل العقل في آيات الله وَعَلَيْكَ فقال (نستدل بالعقل على وجود الله وانفراده بالربوبية وكمال قدرته عن طريق النظر والتفكر في آيات الله).

(والنظر في آيات الله والاستدلال بها على ربوبيته كثيرة، بحسب تنوع الآيات وأشهرها طريقان:



الطريق الأول:

النظر في آيات الله في خلق النفس البشرية، فالنفس آية من آيات الله قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ [الشمس: ٧]، ولهذا لو أن الإنسان أمعن النظر في نفسه وما فيها من عجائب لأرشده الله ذلك، ولأرشده العقل أن له ربا خالقا حكيما خيرا؛ إذ لا يستطيع الإنسان أن يخلق النطفة التي كان منها؟ أو أن يحولها إلى علقه، أو يحول العلقه إلى مضغة، أو يحول المضغة عظاما، أو يكسو العظام لحما.

أما الطريق الثاني:

النظر في آيات الله في خلق الكون وهو ما يعرف بـ دلالة الآفاق، قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

فمن تأمل الآفاق من الأرض والسماء وما اشتملت عليه السماء من نجوم وكواكب وشمس وقمر، وما اشتملت عليه الأرض من جبال وأشجار وبحار وأنهار وغير ذلك لأرشد أن الله خالق الخلق وإلى ذكر ذلك كله.

وقد جاء في بعض الآثار أن قوما أرادوا البحث مع الإمام أبي حنيفة في تقرير التوحيد، فقال لهم: أخبروني قبل أن نتكلم في هذه المسألة عن سفينة في دجلة تذهب فتمتلى من الطعام وغيره بنفسها وتعود بنفسها، فترسو بنفسها وترجع، كل ذلك من غير أن يديرها أحد؟.

فقالوا: هذا محال لا يمكن أبدا. فقال لهم: إذا كان هذا محالا في سفينة فكيف في هذا العالم كله علوه وسفله؟.

فنبه إلى أن اتساق العالم ودقة صنعه وقوام خلقه دليل على وحدانية خالقه وتفرد.



المبحث الثاني:

بيان أن الإقرار بهذا التوحيد وحده لا ينجي من العذاب.

(الذي يوحد ربه ويوصف ربنا بأفعال إن هذا وحده لا يصح به إيمان الفرد ولا يتحقق به التوحيد، لأنه ليس الغاية من بعث الرسل، ولا ينجي من عذاب الله ما لم يأت العبد بلازمه وهو توحيد الألوهية.

ولذا يقول الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦] وما يؤمن أكثرهم بالله الذي هم توحيد الربوبية إلا وهم مشركون في توحيد الألوهية. (ما يقر أكثرهم بالله ربا وخالقا ورازقا ومدبرا إلا وهم مشركون معه في عبادته غيره من الأوثان والأصنام التي لا تضر ولا تنفع، ولا تعطي ولا تمنع.

وبهذا المعنى للآية قال المفسرون من الصحابة والتابعين.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «من إيمانهم إذا قيل لهم من خلق السماء، ومن خلق الأرض ومن خلق الجبال؟ قالوا: الله وهم مشركون» ومن إيمانهم لو في كلمة وما يؤمن أي من إيمانهم إذا قلتم من خلق السماء؟ الله، من خلق الأرض؟ الله، من خلق الجبال؟ الله، وهم مشركون أي في عبادته.

(وقال عكرمة: «تسألهم من خلقهم ومن خلق السماوات والأرض فيقولون الله فذلك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره».

وقال مجاهد: «إيمانهم قولهم: الله خالقنا ورازقنا ويميتنا فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره».

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم بن زيد: «ليس أحد يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمن بالله ويعرف أن الله ربه، وأن الله خالقه ورازقه، وهو يشرك به، ألا ترى كيف قال إبراهيم:



﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٥-٧٧] يعني هم كانوا يؤمنوا برب العالمين، أي توحيد الربوبية لله ربهم الله خالقهم، يعني إذن هذا يبين لك إن إبراهيم تبرا من عبودية جميع المخلوقات إلا من ناحية اعترافهم بأن الله رب.

(والنصوص عن السلف في هذا المعنى كثيرة، بل لقد كان المشركون زمن النبي ﷺ مقرين بالله ربا خالقا رازقا مدبرا، وكان شركهم به من جهة العبادة حيث اتخذوا الأنداد والشركاء يدعونهم ويستغيثون بهم وينزلون بهم حاجاتهم وطلباتهم.

وقد دل القرآن الكريم في مواطن عديدة منه على إقرار المشركين بربوبية الله مع إشراكهم به في العبادة، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَشَجَرَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦١].

فلم يكن المشركون يعتقدون أن الأصنام هي التي تنزل الغيث وترزق العالم وتدبر شؤونه، بل كانوا يعتقدون أن ذلك من خصائص الرب سبحانه، ويقولون أن أوثانهم التي يدعون من دون الله مخلوقة لا تملك لأنفسها ولا لعابديها ضرا ولا نفعا استقلالاً ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، ولا تسمع ولا تبصر، ويقولون أن الله هو المتفرد بذلك لا شريك له، ليس إليهم ولا إلى أوثانهم شيء من ذلك، وأنه سبحانه الخالق وما عداه مخلوق والرب وما عداه مربوب، غير أنهم جعلوا له من خلقه شركاء ووسائط، يشفعون لهم بزعمهم عند الله ويقربونهم إليه زلفى؛ ولذا قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]، أي ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمر الدنيا.

ومع هذا الإقرار العام من المشركين لله بالربوبية إلا أنه لم يدخلهم في الإسلام بل حكم الله فيهم بأنهم مشركون كافرون وتوعدهم بالنار والخلود فيها واستباح رسوله



ﷺ دماءهم وأموالهم لكونهم لم يحققوا لازم توحيد الربوبية وهو توحيد الله في العبادة.

وبهذا يتبين أن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده دون الإتيان بلازمه توحيد الألوهية لا يكفي ولا ينجي من عذاب الله، بل هو حجة بالغة على الإنسان تقتضي إخلاص الدين لله وحده لا شريك له، وتستلزم إفراد الله وحده بالعبادة. فإذا لم يأت بذلك فهو كافر حلال الدم والمال.

المبحث الثالث: مظاهر الانحراف في توحيد الربوبية

ما مظاهر شرك الربوبية في هذه الأمة؟.

(توحيد الربوبية مركز في الفطر، مجبولة عليه النفوس، متكاثرة على تقريره الأدلة، إلا أنه وجد في الناس من حصل عنده انحراف فيه، ويمكن تلخيص مظاهر الانحراف في هذا الباب فيما يلي:

أولها: جحد ربوبية الله أصلاً وإنكار وجوده سبحانه) هؤلاء كانوا نوعين، نوع قديم ونوع حديث، النوع القديم اسمهم الدهريون و الحديث فيهم الشيوعيون.

الدهريون الذين قالوا: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤] لذلك سموها، الدهريون.

قالوا ما هي إلا.أرحام تدفع وأرض تبلغ وما يهلكنا إلا الدهر.

النوع الثاني:

لم ينكروا كل الربوبية ولكن جحدوا بعض خصائص الرب سبحانه وتعالى- كمن ينفي قدرة الله على إمامته أو إحيائه بعد موته، أو جلب النفع له أو دفع الضر عنه، أو نحو ذلك.



إذن الأول: أنكر الربوبية.

الثاني: أنكر بعض خصائص الربوبية، جحد بعض خصائص الربوبية.

الثالث: لم ينكر أعطى بعض الربوبية لغيره، يعني هو مقر لكن فيه ناس كثيرة تعمل ذلك أيضًا، مثل الأولياء وبعض الصوفية الذين اعتقدوا أن هناك من يتصرف في الكون مع الله، من يدبر أمور الكون أو من يميت ويحيي ويشكو إلى غير ذلك من مسائل أو معاني الربوبية وكل هؤلاء كفر برب العالمين.

إذن فهذه بعض مظاهر الشرك وهي ثلاثة:

أولها: جحود الربوبية أصلاً كالدهريين والشيوعيين.

الثاني: جحد بعض معاني الربوبية كقدرة الله على الإماتة والإحياء أو جلب النفع أو دفع الضر وغير ذلك.

والثالث: إعطاء شيء من خصائص الربوبية لغير الله، فمن اعتقد وجود متصرف مع الله في أي شيء من تدبير الكون من إيجاد أو إعدام أو إحياء أو إماتة أو جلب خير أو دفع شر أو غير ذلك من معاني الربوبية فهو مشرك بالله العظيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

انتهى الدرس الأول .

